السلامة والخطر معادلة الحياة

خطان مختلفان، أحدهما يواجه الآخر، فالأول يبني والآخر يهدم، فالخطر إنْ وقع ترتَّب عليه مكاره متنوعة: كوفاة الأنفس، أو إصابات الأبدان، أو إعاقة عن الحركة، أو خسران في الأموال، وفقدان أحباب وخلان. ومنْ لم يصب بأيٍّ من تلك وكتب الله له النجاة فقد يصيبه مرض نفسي؛ جراء هول الحادثة، والأدهى من ذلك حين يتعرض المنزل لخطر متزامن مع وجود الصغار بداخله بينما الأب والأم والإخوان الكبار خارجه. تصور كم من الهلع يصيبهم –خاصة الوالدين– عندما يصلهم النبأ المخيف!

إن مجرد سماع الخبر سيكون وقعه عليهم كالصاعقة، هنا ندرك المعادلة ويكفل لها حقها، فالحياة فيها من الفرح ما يسعد، وفيها من الترح ما يحزن، فإما أنْ تكون سالمة أو خطرة، وبهذا ندرك معادلة الحياة. فإنْ غابت السلامة حضر الخطر، ففي الأولى مكمن السكون داخل دائرة آمنة، ومن لم يكنْ كذلك فهو خارج الدائرة، تلفه لفافات الخطر، وما يترتب عليه من شقاء ونكد، وتكون غمة.

فالعملية إذن ضد بضد، فإما إجراءات سلامة توقي وإما إغفالًا يوقع، فالأمر بين سبيلين: أحدهما لك، وثانيهما عليك، فالزم الأول وتتفادَى الثاني.

وخلاصة القول: ببساطة أنه كلما تنبَّه الإنسان لوجود خطر يعمل على تفاديه، وإلا سيبقى الخطر قائمًا ووقوعه وارد، فأبصر

بعينك، وارع أهلك قبل أنْ يحل هول الكارثة فتصفق كفًّا بكف، تشكي من الويل، يخسرك مالًا وولدًا وسكنًا، تعبت من أجل تحصيلها سنين، وأنفقت عليها الكثير، بغمضة عين وجدت نفسك في خسر، وفي لحظة غفلة وجدت بيتك قد أتلف، وأحاطت بك الأهوال بسبب حادث كان بالإمكان تجنُّبه لو فتحت عيونك وفركت جفونك، وأخذت من وقتك القليل، واستبقت وقوعه بشيء من الاحتياطات الوقائية.

هكذا هي حوادث المنازل، تترك لتتوالى مهيجاتها حتى تصل إلى نقطة اللا عودة، فتقع فجأة، يطول سوؤها من هو في محيطها الذي ظل يتهاون بها حتى ساءته محدثاتها معنويًّا وماديًّا ونفسيًّا.

فإذا وضح مفهوم الخطر، استطعنا أنْ نستوضح ماهية السلامة. فما السلامة ؟